وقفة مع المتنبي صاحب الأمثال
وجامع أمثاله الوزير الصاحب ابن عباد

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي المتنبي، الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة، والمعاني النادرة، وخاتم ثلاثة الشعراء، وآخر من شارف شعره غاية الارتقاء! وُلد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ في محلة كِنْدَةَ، ونشأ بها، وكان نادرة في الحفظ مولَعًا بتعلم العربية من صباه، لهذا رأى أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج وهو بالشام مع أبيه إلى «بادية بني كلب» وهو فتى لم يعدُ العشرين من عمره فأقام بينهم مدة يُنشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة، فعظم شأنُه فيهم، وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام شديدي الشَّغْب على وُلاتها فوشى بعضهم به إلى «لؤلؤ» أمير حمص من قبل الإخشيدية، فخرج لؤلؤ إلى «بني كلب» وحاربهم وسجنه طويلًا، ثم استتابه وأطلقه.

وخرج من السجن وقد لصق به اسم «المتنبي» مع كراهته له. ويرى الواحدي أن سبب سجنه ظهوره في البادية على رأس تلك الفئة من الأعراب، الناقمة على أولي الأمر، فألقى القبض عليه وأودع السجن.

ويرى ابن جني أن إطلاق لقب «المتنبي» عليه إنما كان بسبب قوله:

أنا تِـرْبُ النَّدَى ورَبُّ القوافي ... وسِمَامُ العِدى، وغَيظ الحَسُودِ
أنـا في أمـةٍ - تَـدَارَكَـهـا اللهُ - ... غـريـبٌ كـصـالـحٍ فـي ثـمـودِ

إنهم كانوا يحقدون عليه منزلته الشعرية وترفُّعَه حيث يقول عن شعره:

أنا الـذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صَمَمُ
أنام ملءَ جُفُوني عن شوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخلقُ جرَّاها ويختصِم

ثم يقول:

وما الدهرُ إلَّا مِنْ رُواةِ قَصَائدي إذا قُلْتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنْشِدا

لقد خرج من السجن.. وكانت تجربة قاسية فى بدء حياته.. فأين يذهب؟

لقد لحق بسيف الدولة بن حمدان فى حلب، فمدحه بما خَلّد اسمه أبد الدهر، وتعلم منه الفروسيّة، وحضر معه وقائعه العظيمة مع الروم حتى عُدّ من أصحاب القتال طمعًا منه أن يكون صاحب دولة.

وبقى أثيرًا عنده مقدَّما على جميع حاشيته وبطانته مع صلفه، وتيهه، فوشوا به إلى سيف الدولة، وكان أشدهم حَسَدًا له «ابن خالويه» النحوى، مؤدِّب سيف الدولة، فجرت مناظرة بينه وبين أبي الطيب فى مجلس سيف الدولة، فضربه ابن خالويه بمفتاح حديد فى وجه فشجّه، ولم ينصفه سيف الدولة، فخرج أبو الطيب غاضبًا بعد ٩ سنوات نظم فيها ٤٨ قصيدة - وهى ثلث ديوانه - فى تخليد ذكر سيف الدولة! فإلى أين يا تُرى؟! لقد قصد كافورًا الإخشيدى أمير مصر، رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند سيف الدولة، ومدحه بقصائد سنيّة، ووعده كافور أن يقلده إمارة، أو ولاية، ولكنه عدل عن ذلك، فعاتبه أبو الطيب عتابًا مريرًا مؤلمًا، فاستأذن فى الخروج من مصر فأبى، فتغَفَّله ليلةَ عيد النَّحْر سنة ٣٥٠ هـ وخرج منها يريد الكوفة، ومنها قصد «وزيره ابن العميد» فأجزل صلته، وعاد إلى بغداد، وخرج إلى الكوفة، وفى الطريق خرج عليه بعض الأعراب فقتلوه هو وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ.